# مفهوم المنهج الفني عند سيد قطب وعلاقته بنظرية الجمال الفني في القرآن الكريم

**أ. منير سعدي/ كلية العلوم الإسلامية**

*** جامعة الجزائر ***

## مقدمة:

سيد قطب" من الشخصيات المعاصرة القليلة التي لم تعط لها الأهمية الكافية واللازمة من البحث والدراسة، رغم تعدّد مراحل حياتها وتنوّعها وثراء زادها الفكري و العلمي والمعرفي بصفة عامة، ولعلّ مُعظم ما كُتب عنه ((إنما يتركّز حول فكره وجهاده الإسلامي وسجنه وتعذيبه وإعدامه)) [1]، وقد يرجع البعض ذلك إلى أن الحديث عن حياته ـــ وبخاصة قبل أن يتّجه إلى الكتابة الإسلامية ـــ شيء لا يفيد ولا يهمّ بالمقارنة إلى الحديث عن منهجه وفكره الإسلامي[2].

يمكن القول إن حياة سيّد قطب تعدّ سلسلة متّصلة الحلقات في تتابع مستمر، تنمو في ثبات ممتد، يكاد الباحث يحسّ من خلالها بالنمو الطبيعي لهذه الشخصية دون أن يشعر بتحول مفاجئ في مسيرتها الأدبية والنقدية والفكرية والإسلامية، بعدما تهيأت له النشأة الطبيعية، والتربية الخاصة التي شكلت ملامح نفسيته الأولى في بيئة محافظة، تقدس العلم وتمجد أهله، وتهوى الشعر وتتذوقه، حيث استطاع من خلال هذه البيئة التي عاصرها أن يكوّن شخصيته الطموحة التي تعدّت الآفاق؛ فهو الأديب والباحث والناقد والمفكّر والمُصلح والثائر، هذه الشخصية التي تأبى الجمود والخمول وتعشق

---

(1) عبد الباقي محمد حسين. سيد قطب. حياته وأدبه. دار الوفاء. المنصورة. مصر. الطبعة الثانية. 1993. ص15.

(2) يذكر نفس الباحث عبد الباقي محمد حسين أن هذا هو السبب الذي منع ابن أخت "سيد قطب" الدكتور "عزمي" من أن يمدّه بشيء عن حياة خاله في مقابلة معه في صيف عام 1977. انظر نفس المرجع السابق. نفس الصفحة.

الحركة والبحث والانطلاق في عالم لا محدود ، بحثا عن عالم الخلود الأبدي، تلكم هي شخصية "سيّد" الموؤودة في عالم النسيان...

**حياة سيّد قطب ببُعدها الزماني والمكاني:**

ولد "سيّد قطب" في التاسع من شهر أكتوبر من عام 1906م بقرية تدعى "موشا"، وهي إحدى قرى محافظة "أسيوط" بمصر[1]،لأبوين متوسطي الحال،

يحملان سمْت أهل الصعيد المصري من سمرة في البشرة، ووجوه تعكس قسماتها بعض ما جُبلت عليه فطرة المجتمع الريفي المتمسّك بالتقاليد، المحافظ على عادات الآباء والأجداد.

كانت أمّه أشدّ حرصا على تعليمه وتنشئته تنشئة دينية لكونها ((من أسرة فيها نوع من الرقي العلمي ــ بتعبير سيد ــ بجانب الوجاهة الريفية، إذ كان والدها قد قضى شطرا كبيرا من حياته في القاهرة هو وزوجته، ولما عادا إلى القرية أنشأ فيها بيتا يشبه بيوت العاصمة إلى حدّ ما في نظافته وتنسيقه وتقاليده ومستواه)) [2]، هذه الأسرة زوّدت الأم بالوعي وروح المسؤولية تجاه أولادها وبخاصة ابنها الذي أخذت تعدّه لأمل رجته فيه، هذا الأمل هو أن يصبح متعلّما كأخواله، له مكانته التي تعلي شأن الأسرة وتحفظ اسمها ومجدها من الضياع [3].

لقد ألهمت هذه العاطفة الفيّاضة الجيّاشة "سيّد" حب التّعلم والتّمسك بالقيم السامية والتزود بمختلف المعارف الدينية منها على وجه الخصوص، بل كان من شدّة تأثر "سيّد" بشخصية والدته وتأثيرها هي في شخصية ابنها أن أهدى لروحها

(1) يذكر الباحث عبد الباقي محمد حسين. أن المعلومات المتعلقة بحياة "سيد قطب" والتي اعتمدنا عليها في نقل الأخبار عن "سيد" قد أخذها من ملف "سيد قطب" بإدارة القيد والحفظ بديوان عام وزارة التربية والتعليم/المحفوظات. رقم ورمز الملف: S. 12 ــ 5/21.

(2) نفس المصدر السابق. ص21 ــ 22.

(3) محمد حسين عبد الباقي. سيد قطب. حياته وأدبه. ص18.

كتابه "التصوير الفني في القرآن" [1]. إذ يقول: ((إليكِ يا أماه أرفعُ هذا الكتاب، لطالما تسمَّعتِ من وراء "الشيش" في القرية للقراء يرتّلون في دارنا القرآن طوال شهر رمضان، وأنا معك أحاول أن ألغو كالأطفال ــ فترُدني منك إشارة حازمة وهمسة حاسمة فأنصت معك إلى الترتيل، وتشرب نفسي موسيقاه، وإن لم أفهم بعد معناه، وحينما نشأت بين يديك بعثت بي إلى المدرسة الأولية في القرية، وأولى أمانيك أن يفتح الله عليَّ فأحفظ القرآن، وأن يرزقني الصوتَ الرخيم فأرتله لك كل آن.

لقد رحلتِ عنّي ــ يا أمّاه ــ وآخر صورك الشاخصة في خيالي جلستك في الدار أمام المذياع تستمعين للترتيل الجميل، ويبدو في قسمات وجهك النبيل إنك تدركين ــ بقلبك الكبير وحسّك البصير ــ مراميه وخفاياه)) [2].

كما يتّضح تأثر "سيد" جليّا بوالده أيضا في الإهداء الذي استهل به كتابه "مشاهد القيامة في القرآن" [3]. وخاصة في قوله: ((لقد طبعتَ في حسي ــ وأنا طفل صغير ــ مخافة اليوم الآخر، لم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي واليوم الآخر في حسابك، وذكراه في ضميرك وعلى لسانك.

فإلى روحك يا أبي أتوجه بهذا العمل، ولعله عندك مقبول وعند الله مستجاب)) [4].

وبهذا الاهتمام وحسن الرعاية ترعرع "سيد" ونما معه شيئان وهما: الإحساس بالذات، والأمل الذي غرسته فيه أمه وراحت تؤكده منذ مولده، فإذا هما متلازمان

(1) أصدره في شهر أبريل عام (1945) عن دار المعارف بمصر، وكان أصله مقالات نشرها في مجلة المقتطف. انظر: الملحق الخامس بيبليوغرافيا مقالات "سيد" ص 300.

(2) سيد قطب. التصوير الفني في القرآن. دار الشروق. القاهرة. بدون تاريخ. ص5.

(3) أصدر سيد هذا الكتاب عام 1947، وهو الكتاب الثاني من "مكتبة القرآن الجديدة" التي كان ينوي إصدارها.

(4) سيد قطب. مشاهد القيامة في القرآن. ص5.

في حياته، ولقد عبر هو نفسه عن ذلك في رثائه لها سنة 1940م قائلا: ((لقد كنتِ تصورينني لنفسي، كأنما أنا نسيج فريد منذ ما كنت في المهد صبيا، وكنت تحدثينني عن آمالك التي شهد مولدها مولدي، فيتسرب في خاطري أنني عظيم، وأنني مطالب بتكاليف هذه العظمة التي هي من نسج خيالك ووحي جنانك)) [1].

لقد ترك الوالدان ((لمساهما التربوية على الكثير من جوانب شخصيته وغرسا فيه الكثير من المعاني والحقائق والقيم والمبادئ)) [2].

اجتمعت البواعث والأسباب كلّها لتبعث في نفس سيّد حبّ الشعر والأدب، وأيضا ملكة التّذوق والنقد، ((تلك الأسباب التي تتبلور في الاستعداد النفسي وملازمة العقاد)) [3].

أما الاستعداد النفسي، فيتمثّل في إحساسه بذاته، وثقته بنفسه، وتفرّده داخل البيت وخارجه، وحبّه للنشاط والتطلّع والطموح والتفوّق؛ فخصومة الحياة هي خير عنده من سلامة الموت، وضجة العاصفة أفضل من صمود الركود [4]، إضافة إلى شغفه الشديد بالمطالعة والقراءة لكل ما يقع بين يديه من كتب في مختلف المواضيع كالأدب الشعبي، والقصص البطولي، والكتب الديني والبوليسية، وأيضا كتب التنجيم والسحر، حتى صارت مكتبته ((مصدر حركة ثقافية دائمة في القرية)) [5].

أما ملازمته العقاد، فقد جاءت لتوجّهه نحو هذا المجال؛ حيث أتاحت ظروف

(1) صلاح عبد الفتاح الخالدي. سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد. ص56 نقلا عن "الأطياف الأربعة" لسيد قطب وإخوته. ص167.

(2) صلاح عبد الفتاح الخالدي. سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد. ص55.

(3) عبد الباقي محمد حسين، سيد قطب: حياته وأدبه، ص61.

(4) انظر: مجلة الأسبوع. السنة الأولى. 1934. العدد31. مقال لسيد: "معركة النقد الأدبي ودوافعها الأصلية(1)". ص28.

(5) عبد الباقي محمد حسين، سيد قطب، حياته وأدبه، ص53.

"سيّد" واستعداداته النفسية وموهبته الأدبية، فرصة النمو والتألق وإثبات "الذات".

وعندئذ لا بد من الإشارة إلى أن "سيّدا" كان يملك مقوّمات الموهبة الأدبية والنقدية، و لم يكن للعقاد إلا أن يقوم بدور التوجيه والإعداد، لأن العصر ـــ كما يقول العقاد نفسه ـــ ((لا يخلق الموهبة إذ هي لم توجد في صاحبها، ولكنه إذا لم يخلقها فهو بلا ريب يوجّهها ويهيّئ لها أسباب تمامها واستوائها، بحيث يسهل علينا أن نفهم كيف أن عبقرية من العبقريات تهتدي على وجهها في زمن ولا تهتدي في زمن آخر)) [1].

## تطوّرالمناهج النقدية الأدبية الحديثة

قبل أن نغوص في الحديث عن مفهوم المنهج الفني عند سيد قطب وعلاقته بالنقد الأبي ونظرية الجمال الفني في القرآن ، لابد أن نمهد لذلك بإطلالة في تطور مناهج النقد الحديث وفلسفاتها الجمالية.

يلاحظ الباحث أن المناهج النقدية الأدبية الحديثة اعتمدت على أسس فلسفية عامة، ذاك أن النقد، ولاسيما في العصر الحديث، صار مرتبطا بالفلسفة، ووثيق الصلة بها [2].

ولا شك أن الجمال قيمة وهدف يسعى إلى أن يضمنّه فنه ويحققه في إنتاجه، وما يلبث الفيلسوف أن يشارك بفكره وفلسفته عمل الفنان مقيّما له، ومحللا لما ينطوي عليه من أهداف، فصلة فلسفة الجمال بالفن هي بمثابة صلة المنطق

(1) العقاد. ابن الرومي. حياته وشعره. دار الهلال. القاهرة. بدون تاريخ. ص53.

(2) يرى أحمد أمين أن الفلسفة شيء والنقد الأدبي شيء آخر، وما دخلت الفلسفةُ النقدَ إلاّ أفسدته وجنت عليه وأضاعت من ميزته الخاصة، ولعل أكبر النقاد المتفلسفين ـــ حسب رأيه ـــ هما أفلاطون وكولردج. أما أفلاطون فلم يترك لنا في النقد الخالص إلا نظرية خاطئة في أكثر الأحيان، وأما كولردج فإنه كلما ازداد تعمّقا في فلسفته ازداد عقما في النقد الحق، وسبب ذلك أن الفلسفة تعنى بمسائل التفكير المجرد الخالص، أما النقد الأدبي فمسائله التي يهتم بها تقوم على الذوق في أكثرها والذوق لا يعلل. انظر: أحمد أمين، النقد الأدبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، 1967، ص 306 ـــ 307.

بالنظريات العلمية [1].

والدَّارس لتاريخ النقد الحديث يلاحظ دون شك تأثير فلسفة علوم الجمال في حركات النقد والمذاهب الأدبية المعاصرة، بل نجد أن التيارات الفلسفية العامة في أوروبا، هي التي مهّدت لميلاد النظريات الحديثة في الأجناس الأدبية وخصائصها الفنية.

ويمكننا أن نجمل الفلسفات الأوروبية المؤثرة في النقد في نظريتين أساسيتين:

**الأولى: الفلسفة المثالية**، وتحفل بالمتابعة الفنية في العمل الأدبي، وبتأثيرها نشأ مذهب الفن للفن، والمذهب الرمزي، والمذهب التأثّري، أو ما يسمى بالانطباعي.

**الثانية: الفلسفة الواقعية**، وتحفل بالمضمون وبأهداف الفن ووظيفته وصلته بعصره دون إغفال للنواحي الفنية الخاصة بالأجناس الأدبية أو بالصياغة. وبتأثيرها نشأ الأدب الواقعي والأدب الوجودي.

فإذا كانت الفلسفة الأولى قد أثرت بشكل واضح في الشعر الغنائي، فإن الفلسفة الثانية قد أثرت في النثر عامة وفي القصص والمسرحيات بشكل أخص وبصورة أوضح، لأنهما من الأدب الموضوعي [2].

يمكن القول: إنه في ظل البحث عن "ماهية النقد" تأسست المناهج النقدية عبر العصور، فوجدت مناهج كثيرة منها ثلاثة أصلية أساسية:

**1 ــ المنهج التفسيري** الذي يعتمد أساسا على تفسير العمل الأدبي وتوضيحه، وهو يقف عند التفسير ولا يصدر أحكاما.

---

(1) محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في النقد العربي الحديث ومذاهبه، ص 22.

انظر أيضا: عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، الطبعة الثانية 1968، فصل"الأستطيقا والجمال"، ص 12. وانظر أيضا: محمد زغلول سلام، النقد العربي الحديث، أصوله وقضاياه ومناهجه، ص1 تقديم، وأيضا ص 284.

(2) انظر: عبد المنعم خفاجي، دراسات في النقد العربي الحديث ومذاهبه، ص 24.

2 ــ **المنهج التحليلي الداخلي** الذي يقتصر على تحليل عناصر العمل الأدبي وما فيه من مجازات وصور ورموز وإيقاعات وما ينطوي تحت هذا المعنى [1].

3 ــ **المنهجي الحكمي** ويغلب عليه الاهتمام بما في العمل الأدبي من أفكار وآراء وما ينطوي عليه من أهداف [2].

إن النقد مجال معرفي له خصائصه ومقوماته ومناهجه واتجاهاته، وكل منهج ينطلق من أسس نظرية ذات أبعاد فلسفية وفكرية، ويشترط فيه تحديد أدواته الإجرائية بدقة ووضوح، حتى يتمكن من تحليل الظاهرة المدروسة في الخطاب الأدبي، وهو قادر إذ ذاك على تحويل المفاهيم النظرية إلى مستوى التطبيق، فيطوعها إلى التعامل مع الظواهر الأسلوبية وأبعادها الدلالية ليحقّق العلاقة الجدلية بين النظرية والممارسة [3]. ومن ثم فكل منهج نقدي، لابد أن ينطلق من مبادئ فكرية وأسس معرفية يرتكز عليها.

كما لا يمكن لأي منهج نقدي أن يُنصِّب نفسه على أساس أنه هو المنهج الوحيد الذي بإمكانه الكشف عن خفايا النص الأدبي، أو يملك الإجابة عن كل التساؤلات التي يوحيها ذلك النص مهما كان بسيطا وواضحا، والاختلاف في الأجوبة هو اختلاف في زاوية الرؤية، إذ ينطلق كل منهج نقدي من مجموعة من المسلمات يريد أن يكشف وجودها أو صدقها في النص المدروس، ومن ثم فكلّ منهج نقدي سيصل حتما إلى نتائج متباينة عن منهج نقدي آخر [4].

---

(1) يعرّف الباحث خلدون الشمعة المنهج التحليلي بقوله:((هو تحليل النص الأدبي إلى عناصره الأولية ودراسة كيفية اتصال أجزائه بالكل، وكيفية تحقق وحدته الموضوعية والعضوية ومسح مادة نكوينه وكشف الآلية التقنية التي استخدمها الفنان في عملية تشكّله. انظر: خلدون الشمعة، الشمس والعنقاء، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق 1974، ص14..

(2) انظر: عبد اللطيف السحرتي، النقد الأدبي من خلال تجاربي، مطبعة لجنة البيان العربي، بدون تاريخ، ص 6..

(3) نور الدين السيد، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، أطروحة دكتوراه، 1994، جامعة الجزائر، كلية الآداب، ص44.

(4) محمد ساري، النقد الأدبي، مناهجه وتطبيقاته عند محمد مصايف، رسالة ماجستير في النقد الأدبي الحديث، كلية الآداب، الجزائر، 1993، ص31 بتصرف.

غير أنه يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام أن المناهج النقدية هي أثر من آثار المذاهب الأدبية التي يعتنقها الناقد، مثل **المذهب الفقهي أو اللغوي أو البلاغي** الذي يتّجه إليه الناقد، وهو مذهب يعتمد النظر إلى النحو والصرف والمعاني والبيان، **والمذهب الفني** الذي يعتمد النظر إلى جمالية العمل الأدبي، ويؤثر في منهج كوكبة كبيرة من نقاد اليوم في منهجهم التحليلي الداخلي، أو منهجهم الجمالي، **والمذهب الواقعي** الذي يعتمد على مضمون العمل الأدبي، وبخاصة المضمون السياسي والاجتماعي والقومي والاشتراكي، وأيضا **المذهب الوجودي** الذي يعتمد النظر إلى الإنسان وفرديته وما ينطوي عليه عمله من هدف أو رسالة [1].

وهكذا نلاحظ تفاوت النقاد في اتجاهاتهم ومناهجهم، فبعضهم يترع إلى توضيح العمل الأدبي وتفسيره، وبيان ما فيه من آراء وسمات فنية دون إبداء حكم على العمل المنقود. ومنهم من يضمن تفسيره ما يحوي العمل الأدبي من بلاغة، وما يضم من أفكار ومعانٍ، وما تخفي هذه المعاني من مجاز أو ما يسمونه بمعنى المعنى [2]. واتجه فريق آخر لدراسة حياة الأديب لا الأدب نفسه، "فوجّهوا عنايتهم نحو تأثر الأدب بالأديب وصدوره عنه، ولاحظوا في ذلك أن نفس الأديب هي المنبع الذي صدرت عنه القطعة الأدبية، لذلك يجب أن تدرس هذه النفس ليفهم ما يصدر عنها" [3].

ونقاد آخرون يتجهون في نقدهم إلى تحليل العمل الأدبي **تحليلا خارجيا** من الناحية التاريخية مثلا، فينظرون إلى المؤثرات الخارجية التي شب فيها العمل الأدبي وتكوّنَ، وإلى البيئة التي ترعرع فيها، وإلى تاريخ حياة المؤلف، ومن أبرز هؤلاء نذكر الناقدين الأمريكيين "ويليك" و"ران" "Wellek & Warren" اللذين

(1) عبد اللطيف اللسحرتي، النقد الأدبي من خلال تجاربي، ص 8.

(2) نفس المراجع السابق ص 161.

(3) أحمد أمين، النقد الأدبي، ص 26.

نظرا إلى العمل الأدبي وعلاقته بحياة المؤلف، وأثر الآراء السائدة والفنون الأخرى، والمجتمع فيه [1].

ويمكن القول: إن هذا الاتجاه التحليلي الخارجي قد يثري العمل الأدبي، ويعمق فهمنا له، ويمدنا بتصورات عديدة عن بيئته ومحيطه، ولكنه لا يكشف عن جوهره، ولا عن مواضع الحسن فيه وقيمته الفنية.

وهناك منهج آخر ظهر حديثا هو **المنهج البنيوي** الذي نشأ كرد فعل إزاء ما أسماه رواده بالنقد الأكاديمي، وقد قام على أساس تخليص الأدب من الزوائد التي طغت عليه، لهذا وجدوا ضالتهم في الأشكال والطرائق، فأطلقوا على الظاهرة بـ "أدبية النص الأدبي"، ونبذوا العبقرية والوحي والإلهام، وأكدوا على وجوب تفسير النصوص تفسيرا عقلانيا علميا، لأن الأدب عنده ظاهرة طبيعية يمكن درسها بالمنهج العلمي [2].

نخلص من خلال ما تقدم أن استفادة النقد الأدبي من العلوم الإنسانية والتجريبية أدت إلى ظهور عدة اتجاهات ومناهج في تحليل الخطاب الأدبي، ولذلك نجد بعضا من الدارسين يعتبرون الخطاب الأدبي واقعة تاريخية ومحاكاة للظواهر الواقعية، ومنهم من يعدّه واقعة أنتربولوجية، ومنهم من يعتبره شكلا من أشكال الوعي الاجتماعي، ومنهم من يراه ظاهرة لا شعورية وهو تعبير عن حياة الإنسان اللاوعية[3].

ومع هذا لا يجوز للباحث أن يقلل من أهمية أي منهج من هذه المناهج، فلا شك أن النقد التاريخي لبعض الأعمال الأدبية ركيزة للناقد في نقده من حيث معرفةُ أثر

(1) انظر: عبد اللطيف السحرتي، النقد الدبي من خلال تجاربي، ص 162.

(2) انظر: ماجدة عطية، توفيق الحكيم ناقدا، رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب، 1996، ص 209.

(3) نور الدين السد، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب، ص45.

البيئة والمحيط في الأدب والأديب، والنقد السيكولوجي الذي يلقي الأضواء على مضمون العمل الأدبي ويكشف من خلال تحليله الداخلي للعمل الأدبي عن متانته أو وهنه، وجودة نسيجه أو رداءته، والكشف عن أسرار صاحبه وعالمه اللاواعي، والنقد الاجتماعي الذي يكشف عن المضمون في صدقه أو زيفه، وفي عمقه أو ضحالته، من خلال ربطه بظروفه الاجتماعية والسياسية وواقعه بشكل عام، والنقد البنيوي الذي يفكك النص الأدبي وينقده نقدا داخليا في إطار ما يسميه أصحابه بأدبية النص الأدبي.

وهكذا فكل منهج من هذه المناهج المختلفة، له طريقته الخاصة في التعامل مع مختلف النصوص الأدبية وفق مصطلحاته ومفاهيمه التي تستند إلى خلفية فكرية ونظام معرفي متكامل.

## مفهوم المنهج الفني عند سيد قطب وعلاقته بالنقد الأدبي:

قبل أن نقف عند حيثيات المنهج الفني، يجب علينا أولا أن نقف عند كلمة الفن، لنتبيّن مفهومها لغة واصطلاحا.

فالفن كلمة مشتركة تدلّ على معانٍ شتى، ومع اختلاف ما تضاف إليه فإن لها معنى أساسيا واحدا هو ((الحذق أو المهارة التي يبلغ بها المرء مقصده بعد تدبّر وتمعّن)) [1].

وفي اللغة نجدها في لسان العرب تحت مادة (**ف ن ن** )، والرجل يفنّن الكلام أي يشقق في فن بعد فن، وافتنّ الرجل في حديثه وفي خطبته إذا جاء بالأفانين، وافتنّ أخذ في فنون من القول... ويقال: فنّ فلان رأيه، إذا لوّنه و لم يثبت على

(1) محمد عزيز عتيق. في النقد الأدبي. دار النهضة العربية ــ بيروت ــ الطبعة الثانية. 1972. ص10.

رأي واحد، والأفانين الأساليب: هي أجناس الكلام وطُرقه [1].

والفن ــ كما يعرفه أحد الباحثين: كلّ عمل راق، يهدف إلى ابتكار ما هو جميل من الصور والأصوات والحركات والأقوال، وهي على هذا المعنى لا تعني إلا الأعمال الإنسانية المنظّمة الراقية العلمية، فهي تختصّ بابتكار الأشياء التي تتصف بالجمال [*]، لما تُحدثه في النفس من لذّة وسرور.

ومن هذه المبتكرات كل الأعمال والآثار الفنية التي تتمخّض عنها قرائح الفنانين[2].

والأدب لون من ألوان الفنون إن لم نقل إنه أهم الفنون على الإطلاق، إذ تتجلّى فيه مهارة الأديب وحذقه فيما ينتج من الكلمات والصور الفنية التي تنشئها عاطفته المتحفّزةُ وإحساسه المرهف وخياله المبدع.

والناقد إذا سأل نفسه: ما هو الأدب؟ كان في إجابته على هذا السؤال يقوم بعمل مغاير لعمل الناقد الذي يتساءل عن سرّ الجودة في قطعة دون أخرى من

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت- 1968. (13/326-328).

(*) هناك من يرى أنّ في تحديدات النظريات الجمالية ومحاولة فرضها على الأدب والنقد ضرر كبير... فإذا كان علم الجمال بِبَحثِه في حاسة الجمال وفي الجميل، وبإمعانه في دراسته التجريدية، كان عاملا سيئا في توجيه النقد، فهو يحاول أن يضع للأدب وللفن عموما التعاريف، وأن يقسم الأدب إلى أنواع معيّنة، وأن يضع نظريات عامة إلى أقصى حد يصل إليه العموم، وهو بهذا ينافي طبيعة الفن، وطبيعة العواطف الإنسانية التي تتميّز بأنها مبهمة وغامضة، لا يستطاع تحديدها، ولا يمكن تقييدها.

انظر: محمد عبد المنعم خفاجي. دراسات في النقد. ص14.

أما أحمد أمين فيرى أن الخطر الآخر لدخول الدراسات الجمالية في النقد هو أن الدارس الجمالي يتعمّق في البحث التفكيري المجرّد تعمقا يؤدي به إلى أن يبتعد تماما عن الموضوع الأدبي الذي يبحث فيه، فيغرق في لجج من التفكيرات الفلسفية والخلقية والنفسية تجعله في منأى عن الأدب والذوق الأدبي، بل تنتزع منه الحاسة الجمالية نفسها. أحمد أمين. النقد الأدبي. ص335. وهناك فريق آخر يرى أن لا مفر للناقد من التزوّد بمبادئ علم الجمال esthétique لأن الجمال والنقد توأمان لا ينفصلان، ودراسة الناقد لمبادئه، توسع مداركه، وتجمّل نقده. يقول أحد النقاد: "إن القدرة على تفهم علم الجمال تثمر نقدا جيدا، بل تأتي بنتاج فني جيد". انظر: عبد اللطيف السحرتي. النقد الأدبي من خلال تجاربي. ص122.

(2) عبد العزيز عتيق. في النقد الأدبي. ص10 ــ 11.

الآثار الأدبية.

نحن لا نُنْكر ــ يقول أحد النقاد ــ أنّنا قد نستمد النظرة العامة حول ماهية الأدب وقيمته من فيلسوف أو جمالي، أثّر فينا وأقنعنا بآرائه، ولكننا مطالبون بعدئذ بأن نقوم نحن أنفسنا بإبراز ما نراه من قيمة في هذا الأثر الأدبي أو ذاك، ذلك أننا قد نُحسن القراءة دون استناد إلى نظرية جمالية أصيلة، ولكننا لا نُعدّ ممن يُحسنون القراءة إلاّ إذا تكوّنت لدينا القُدرة على أن نحكم بأنفسنا على ما نقرأ [1].

ولما كان "سيد" من المتمرّسين في الأدب منذ بداية مشواره حيث بدأ يكتب مقالاته من بداية العشرينيات، والمقالات النقدية في نهاية العشرينيات ومطلع الثلاثينيات [2]، فقد حاول أن يضع أصولا للنقد وقواعده، وجعل ينادي بضرورة إفراد الأدب بقواعد نقد خاصة به، تتمشّى مع أدواته وطبيعته وموضوعاته [3].

ويأتي على رأس المناهج التي وضعها "سيد"، المنهج الفنّي الذي أثنى عليه كثيرا وأبدى إعجابه به، كونه يعتمد أولا على التأثر الذاتي للناقد، وثانيا على عناصر موضوعية وعلى أصول فنية لها حظ من الاستقرار. فهو ــ حسب رأيه ــ ((منهج ذاتي موضوعي، وهو أقرب المناهج إلى طبيعة الأدب وطبيعة الفنون على وجه العموم)) [4].

ولكن قبل أن نصل إلى تحديد أسس هذا المنهج عند سيد قطب، لابد من الوقوف أولا عند مفهومه عنده، إذ يقصد به ((المنهج الذي يتناول العمل الأدبي باعتباره معادلا فنيا للواقع لا مجرد تعبير أو تصوير له، والذي لا يعتمد في تحليل

(1) انظر: ديفيد ديتشس. مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق. ترجمة د.محمد يوسف نجم، مراجعة د. إحسان عباس. دار صادر ــ بيروت ــ 1967. ص262.

(2) انظر: الفصل الخاص بفن المقالة عند سيد قطب ص 184.

(3) انظر: سيد قطب. النقد الأدبي. أصوله ومناهجه ص112.

(4) المصدر نفسه. ص117.

النص الأدبي على ظروفه الخارجية فحسب وإنما يحلله في ضوء مكوّناته الداخلية))[1].

أما اللغة في العمل الأدبي فينظر إليها على أنها ليست مجرد ثوب أو وعاء أو زينة، وإنما هي عالم يعجّ بأنواع من الدلالات والرموز، ومن أجل هذا رفض الوقوف في تحليل العمل الأدبي عند معناه الحرفي، وتعداه إلى سبر أغوار المعاني البعيدة [2].

من مميزات هذا المنهج أنه يرى أن العمل الأدبي "ينظُر فيه إلى ذاته ووجوده لا إلى كيفية وجوده، ويرى أن الناقد إذا نظر إلى حياة الشاعر أو إلى بيئته، فإنه يخرج عن اختصاصه ويدخل في نطاق المؤرخ أو عالم النفس أو عالم الاجتماع" [3].

ومن ثم وجب التخلّص من قاعدة ربط النص الأدبي بصاحبه أو بالأسباب والظروف التي أحاطت به، و((التأكيد على ضرورة الانطلاق من النص الأدبي ذاته تأكيدا لمبدأ "أدبية الأدب" الشعار الذي هو أهم مبدأ يميّز المنهج الفني عن بقية المناهج الأخرى)) [4].

وبرغم أن المنهج الفني يرتكز على العلاقات الداخلية في العمل الأدبي، ويدرس لغته، وكل نقطة وموقف فيه، لكنه يعتمد على الاتجاه النفسي سواء في علاجه للرمز أو تناوله لمستويات المعاني المتعددة للنصوص، واستبطان دلالات الألفاظ [5].

إنه وإن كان قد تخلى عن قضية ربط الأدب بظروفه الخارجية، فإنه لم يهمل

(1) شايف عكاشة. اتجاهات النقد المعاصر في مصر. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1985. ص181.

(2) انظر: المرجع نفسه. ص202.

(3) مصطفى عبد اللطيف السحرتي. النقد الأدبي من خلال تجاربي.ص162.

(4) شايف عكاشة. اتجاهات النقد المعاصر في مصر. ص202.

(5) انظر: سعد أبو الرضا. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي. أصوله وقضاياه. مكتبة المعارف الرياض. الطبعة الأولى. 1981.ص 164.

الاستعانة بمختلف النواحي الثقافية، بل إن الدراسة الداخلية للنص الأدبي قائمة على معرفة واسعة بالعلوم اللغوية والنفسية والاجتماعية والفلسفية، وإلى إطلاع واسع على أساطير الإنسانية الأولى وآدابها الشعبية واقفا عند الحدود التي تبّين وتوضّح وتحدّد في آن واحد دور هذه العلوم في هذا المنهج وهي خدمة النص الأدبي، وإضاءة مختلف أبعاده والكشف عن طبيعة علاقاته الداخلية [1].

**أسس المنهج الفني عند سيد قطب:**

يعرّف "سيد" هذا المنهج بقوله: ((هو أن نواجه الأثر الأدبي بالقواعد والأصول الفنية المباشرة)) [2]. أي اعتماد الناقد الأدبي على الأصول الفنية التي توضح مختلف جماليات الإبداع ومستوياته وأيضا تقنياته انطلاقا من الأسس والقواعد النقدية التي يستخدمها في تقييمه ونقده للأعمال الأدبية التي يتعامل معها مباشرة.

يحاول "سيد" أن يضع لهذا المنهج أسسا ودعائم لا يقوم بدونها، ويرى أنه يعتمد على شيئين هامين بارزين:

**أولهما:** التأثر الذاتي للناقد، وهو الذي يعتمد على الذوق الفني الرفيع الموهوب، وعلى التجارب الشعورية الذاتية المكتسبة من الإطلاع الواسع على المأثور والمبدع في الأدب والنقد. وعلى هذا يتفاوت المستوى النقدي من ناقد لآخر كون الوجدان هو المسرح الذي يتم به إدراك الفن وتذوق الجمال [*]، فالوجدان المرهف والعاطفة

(1) انظر: أنس داود. الرؤية الداخلية للنص الشعري. مكتبة عين شمس. مصر. 1975. ص9 وأيضا شايف عكاشة. اتجاهات النقد المعاصر في مصر. ص187 وما يليها.

(2) سيد قطب. النقد الأدبي. أصوله ومناهجه. ص117.

(*) التذوق هو موضع تفاوت كبير بين الأفراد، فليس هناك قدر معين منه يتحقق لكل فرد إزاء عمل فني بعينه، وليس هناك أحكام أو قوانين يمكن أن يقاس بها التذوّق كمّا أو كيفا. وهذا الغموض الذي يحيط بملكة التذوّق ــ سواء في كيفية تحققها أو مداها ــ هو الذي جعل الذوق الفني يخضع إلى حدّ بعيد لطبائع الأفراد.

انظر: محمد عبد السلام كافي في الأدب المقارن. دراسة في نظرية الأدب والشعر القصصي. دار النهضة العربية. بيروت. الطبعة الأولى. 1972. ص111.

الجيّاشة لا يتوفران عند كل ناقد بالدرجة نفسها، وهي أمور لا تخضع للاطراد والقياس والتقعيد والضبط، ذلك أن ((النقد إدراك للقيمة الجمالية، يستند أصلا إلى الحساسية الفنية، وهو لذلك ينهض على الانطباع الشخصي أولا، ومن ثمة البحث عن التعليل المنهجي، وهذا ما يجعله يستخدم العلم وينطوي على بعد عقلي قائم على أساس عاطفي)) [1].

**ثانيهما:** القواعد الفنية الموضوعية وهي تتناول القيم الشعورية التي مرّت بالأديب أو الفنان واستعانته بالخبرة اللغوية والفنية لنقل هذا الشعور إلى الآخرين في صورة موحية معبّرة مثيرة لانفعالاتهم، وهو ما يسمى بالقيم التعبيرية، فهذه الموهبة في التطبيق والنقل لا يؤتاها كل ناقد، فكثيرون ــ كما يقول سيد ــ عندما يواجهون النموذج يخطئون وينحرفون بهذه الأصول [2]، والنقد الحقيقي ــ حسب رأيه ــ هو "صحة الحكم على المثال" [3].

يسعى "سيّد" إثر ذلك إلى ضرب أمثلة من النقاد القدماء الذين بنوا نقدهم على أساس الموازنة بين الأدباء والشعراء لا على الذوق الفني [4]، فجاء تعليلهم ــ في

---

انظر أيضا: مشكلة التلقي والأمور التي يمكن أن تتأثر بالذوق الفني وشروط الناقد في كتاب ريتشاردز. مبادئ النقد الأدبي. ترجمة د. مصطفى بدوي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.1963. ص166.

(1) خلدون الشمعة. الشمس والعنقاء. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق 1978. ص14.

(2) سيد قطب. النقد الأدبي. أصوله ومناهجه. ص117.

(3) سيد قطب. كتب وشخصيات. ص7.

(4) نلحظ هناك اختلاف نظرة "سيد" عن نظرة دعاة النقد الموضوعي الذين ينادون بالنظرة الموضوعية The impersonal Theory مبدأ في النقد، وبالمنهج التحليلي وسيلة لشرح الأعمال الأدبية وتفسيرها من داخلها وبوصفها كائنات عضوية مستقلة عن نفس الأديب أو الشاعر وأهواءه وميوله الشخصية كما هي مستقلة عن نفس الناقد وأهوائه وميوله الشخصية. انظر: سعيد سرحان. النقد الموضوعي. مكتبة الأنجلو مصرية. ص3.

كما نلحظ اختلاف نظرة "سيد" أيضا مع أولئك الذين يرون أن واجب الناقد هو أن يبين كيف يعيش الأثر الأدبي، وما هي حقا صورته ومبناه وحياته الأساسية.. ويذهبون إلى أن الناقد إنما يُعنى بالوسيلة أكثر من عنايته بالغاية، يُعنى بالكيفية التي تمّ فيها التوصل أكثر من عنايته بأثر التوصيل الذي حقّقه الأثر في نفس القارئ. أما استمداد الناقد من سيرته الذاتية، ومن انطباعاته الشخصية، فهم لا يرونه نقدا. انظر: ديفيد ديتشس. مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق. ترجمة محمد يوسف نجم. مراجعة إحسان عباس. ص413.

نظره ـــ خاطئا لأنه مبني على أساس المحافظة على الطرائق القديمة [1].

**المراحل التي مرّ بها المنهج الفني:**

لا يكتفي "سيّد" بوضع الأصول والقواعد دون التمثيل لها من تاريخ الأدب والنقد، ودون التدليل على ما يذهب إليه، فقد رسم لنا منحنى يبين اتجاهات هذا المنهج منذ أيام الجاهلية إلى عصرنا الحديث، معرجا على الإنتاج الغربي مع التمثيل.

يرى "سيد" أن المنهج الفني بدا ساذجا أوليا لا يتعدى التذوق إلى التعليل وكان يقع أن يعلّل الناقد حكمه في بعض الأحيان ولكنه تعليل سطحي ساذج لإبطال القيم الشعرية، وقد شغلت هذه المرحلة أيام الجاهلية كلها وصدر الإسلام [2].

ونلحظ هنا أن سيداً يستقرئ تاريخ الأدب والنقد، ويحدّد الفترة التي كان فيها النقد ساذجا لا يتعدّى التذوق، ويأتي بأمثلة في هذا المجال بداية من النابغة وحكمه بين الشعراء في سوق عكاظ إذ "كان حسبه أن يتذوّق وأن يتأثر فيحكم" [3]، إلى عمر بن الخطاب في صدر الإسلام الذي عدّ زهير بن أبي سلمى أشعر الشعراء وعلّل ذلك بقوله: "كان لا يعاظل في الكلام، ولا يتبع وحشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه" [4].

وعدّ "سيد" هذا التعليل "فلتة سابقة لأوانها في النقد العربي لأنها فيما يلوّح

---

(1) سيد قطب. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص118.

يلاحظ في هذا أن "سيد" يخالف من يذهب إلى أن العمل الأدبي تحدّد قيمته بمدى محافظة الفنان للقيم الفنية والتقاليد الأدبية الموروثة أو المتداولة عند معاصريه وسابقيه.

انظر: محمد زكي العشماوي. الأدب وقيم الحياة المعاصرة. الهيئة العامة للكتاب. فرع الإسكندرية. الطبعة الثانية. 1947. ص20.21، وقضايا النقد الأدبي المعاصر. الهيئة العامة للكتاب. فرع الإسكندرية. 1975. ص12. 13.

(2) سيد قطب. النقد الأدبي. أصوله ومناهجه. ص118.

(3) المصدر نفسه. ص117.

(4) محمد بن سلام الجمحي. طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود شاكر. مطبعة المدني. مصر. الجزء الأول. ص63. وانظر: ابن قتيبة. الشعر والشعراء. تحقيق محمد أحمد شاكر. دار المعارف ـــ القاهرة ـــ ص61.

كانت ((أول تعليل يتوسّع في بيان أسباب الحكم الأدبي)) [1].

و لم يكن النقد العربي ليتوقف عند هذا الحد، فقد حاول أن يتجاوز المرحلة التأثيرية إلى المرحلة التعليلية، وحاول أن يضع قواعد وأصولا للنقد لم تخرج في الغالب عن حدود المنهج الفني.

ويستعرض "سيد" إثر ذلك المحاولات التي كانت من الأدباء والنقاد كابن سلاّم الجمحي (ت231هـ) وابن قتيبة (ت 276هـ)، والتي يرى "سيد" أنها لم تخط بالنقد الفني إلى الأمام لأنها أغفلت المنهج الفني من جهة وظلّت تعليقاتها بعيدة عن التعليل من جهة أخرى [2].

أما القرنان الرابع والخامس، فقد شهد المنهج الفني نموا وتطوّرا على يد رجلين من رجال النقد الأدبي، هما ابن بشر الآمدي (ت371هـ)، وأبو الحسن الجرجاني (ت366هـ) اللذان راعيا القيم التعبيرية والقيم المعنوية بحيث تناولا الألفاظ ومحاسنها ومعايبها كما تناولا المعاني وما يستجاد منها وما يستكره [3].

أما النمو الواضح والسريع الذي شهد المنهج الفني فقد كان على يدي عبد القاهر الجرجاني(ت481هـ) الذي أهدى له "سيد" كتابه "النقد الأدبي" باعتباره ((أول ناقد عربي أقام النقد الأدبي على أسس علمية نظرية)) [4]، إذ حاول أن يضع قواعد فنية للبلاغة والجمال الفني في كتابه "دلائل الإعجاز" كما حاول أن يضع قواعد نفسية للبلاغة في كتابه"أسرار البلاغة" وعدّه "سيد" أول من قرّر نظرية "النظم" [5].

(1) سيد قطب. النقد الأدبي. أصوله ومناهجه. ص119، 120.

(2) سيد قطب. النقد الأدبي. أصوله ومناهجه. ص120.121. وانظر: محمد زغلول سلاّم. أصوله، قضاياه، مناهجه. ص91 وما بعدها.

(3) سيد قطب. النقد الأدبي. أصوله ومناهجه. ص122.

(4) المصدر نفسه. الإهداء. ص5.

(5) تتلخّص نظرية النظم في أنّ ترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة، وأن اللفظ لا مزية له في ذاته، وإنما مزيته في تناسق معناه مع معنى اللفظ الذي يجاوره في النظم، فالمعنى والعبارة باجتماعهما في نظم يكونان موضع استحسان

في تاريخ النقد العربي.

ومع هذا يُبدي "سيد" اختلافه مع عبد القاهر الجرجاني في كثير ممّا تحويه نظريته هذه بسبب إغفاله التام ــ حسب سيد ــ لقيمة اللفظ الصوتية مفردا ومجتمعا مع غيره، وإغفاله أيضا للظلال الخيالية في أحيان كثيرة والتي لها عنده قيمة كبرى في العمل الفني[1].

يواصل "سيد" رحلته مع نمو المنهج الفني عند الأقدمين ويقف عند ابن رشيق(ت463هـ)، ويرى أن له فضل التلخيص والتقعيد والتبويب في النقد الأدبي، وإن لم يكن له فضل الابتكار فيما أتى به، فقد سبقه إلى ما ذهب إليه ابن قتيبة الدينوري والآمدي والجرجاني وغيرهم من قبل[2].

وهكذا توقف نمو المنهج "الفني" ــ في نظر سيد قطب ــ عند عبد القاهر الجرجاني حتى استؤنف في العصر الحديث، ثم يأتي بعدة أمثلة لبعض الأدباء والشعراء يثني على بعضهم وينتقد البعض الآخر كما فعل مع إسماعيل صبري وطه حسين، ومع أحمد شوق، ثم يختم سرده هذا بتناول نموذج من النقد الغربي واختيار قطعة للناقد الإنجليزي "هـ. ب. تشارلتن" في تحليله لقصيدة "لورد زورث" وذكر أنها تصوّر نموذجا بارعا للنقد الأدبي هو صالح في الوقت ذاته للتطبيق في النقد العربي الحديث[3].

---

أو استهجان.

انظر: عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. سلسلة الأنيس، موفم للنشر 1991. ص244. أيضا سيد قطب. النقد الأدبي. أصوله ومناهجه وقضاياه. الفصل الثاني، الصورة الفنية عند عبد القاهر الجرجاني. ص78. وما يليها. وأيضا محمد زغلول سلاّم. النقد العربي الحديث، أصوله، قضاياه، مناهجه. ص306.

(1) سيد قطب. النقد الأدبي، أصوله ومناهجه. ص128.

(2) المصدر نفسه. ص130.

(3) المصدر نفسه. ص141.

**أثر المنهج الفني في نقد "سيد قطب":**

نلحظ من خلال رحلتنا هاته مع المنهج الفني أن سيّداً يدعو إلى تجنّب الذاتيـــة الضيّقة والأخذ بقدر من الموضوعية المستندة إلى أسس نقدية واضحة المعالم.

ولو أننا استقرأنا إنتاجه لوجدناه فيما يكتب حريصا على توصيل المعاني العقلية إلى القارئ ونقل إحساسه الذاتي بمختلف النصوص وتعاطفه معه، وخاصة فيمـــا يتعلّق ببحوثه المتروّية التي يحشد لها طاقاته "كالنقد الأدبي"، و"التصـــوير الفـــني" و"كتب وشخصيات".

ففي هذه الأعمال تتراءى لنا معايشته للأعمال الأدبية بحيث يتجاوز المـــدلول الذهني المجرّد للألفاظ إلى جرس اللفظ والعبارة وما تشعّه من ظلال هي أكبر مـــن المعاني التي يدركها العقل مباشرة [1]، فهو إذن أول الملتزمين بهذا المنهج بمفهومـــه الذي أوضحه فيما سلف لأنه منهج يجمع في طيّاته عدّة مناهج حتى عدّه هو بنفسه قريبا من المنهج المتكامل، بحيث يتضمّن المنهج التأثري والمنهج التقريري والمنـــهج الذوقي الجمالي ولهذا آثره على غيره والتزامه فيما كتب وألّف باعتبـــاره أقـــرب المناهج إلى طبيعة العمل الأدبي [2].

(1) انظر: مثلا حديثه عن مراحل نظم الشعر ومرحلة الانفعال الشعوري الذي يتبلور ـــ كما يذكر ـــ في صورة لفظية وإيقـــاع موسيقي، يمتزج أحدهما بالآخر تمام الامتزاج، ويؤديان في اتحادهما إلى كلام ذي موسيقى خاصة، يرمز إلى الخواطر والمشاعر التي صاحبت ذلك الانفعال في النفس، ويصوّر كذلك الجو الشعوري الذي عاش الانفعال فيه. وإذا نحن سمينا جانبا من هذه الخواطر والمشاعر "معاني" فإن جانبا منها لا تشمله هذه التسمية ولا تدل عليه، وذلك هو جانب الجو الشعوري الذي عاشت فيه هذه المعاني، واكتسبت منه ألوانها ودرجة حرارتها ومقدار اندفاعها، ومدى ما ترمز إليه في النفس من انفعال مبهم ليست الألفاظ إلا رموزا له، تشير إليه ولا تعبّر عنه، إنما يعبّر عنه ذلك الإيقاع الموسيقي العام كما تعبّر عنه الظلال الخاصة التي تلقيهـــا الألفـــاظ بجرسها أو بالصورة التي تنبعث منها والتي هي زائدة في الحقيقة على معناها اللغوي الذي يفهمه الذهن منها. انظر: سيد قطب. كتب وشخصيات. فصل الوعي في الشعر. ص43.

(2) انظر: سيد قطب. النقد الأدبي أصوله ومناهجه. ص225.

**المنهج الجمالي عند سيد قطب في تفسير القرآن الكريم:**

حريّ بنا الأن بعد تقصّينا تعريف "سيد قطب" للمنهج الفني وتحديد أسسه وأثره في نقده وطبيعة العمل الإبداعي، أن نقف عند منهج "سيد" الجمالي في تفسير القرآن الكريم، وكشفه لنظرية فريدة في الدراسة الفنية الجمالية، هي نظرية التصوير الفني في أسلوب القرآن، والتي تعتبر المفتاح الجمالي الذي اهتدى به إلى القواعد العامة الموحّدة للجمال الفني في القرآن كما سيأتي.

لقد كان إقبال "سيد" على القرآن الكريم يدرسه لدواع أدبية فنية حسب اهتماماته الأدبية والنقدية، فنظر فيه من الزاوية الجمالية بالمنظار الفني. يقول مؤكدا ذلك: ((والقرآن هذا الكتاب المعجز الجميل هو أنفس ما تحويه المكتبة العربية على الإطلاق، فلا أقل من أن يعاد عرضه وأن تردّ إليه جدّته، وأن يستنقذ من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية.. وأن تبرز فيه الناحية الفنية، وتستخلص خصائصه الأدبية، وتنبه المشاعر إلى مكامن الجمال فيه..

وفي اعتقادي ــ يضيف سيد ــ أن العرب الأولين قد تلقوا الجمال الفني في القرآن هذا التلقيّ، فتعمق في إحساسهم، وهزّ نفوسهم قبل أن يعقّده المفسّرون والمؤوّلون)) [1].

ويوضح المعنى نفسه في موضع آخر فيقول: ((... ذلك الهدف البعيد، هو إعادة عرض القرآن واستحياء الجمال الفني الخالص فيه..، وفرزه من سائر الأغراض الأخرى التي جاء لها القرآن بما فيها الغرض الديني أيضا. فهدفي هنا هدف فني محض لا أتأثر فيه إلاّ بحاسة الناقد الفني المستقل)) [2].

(1) سيد قطب. مشاهد القيامة في القرآن. ص8.

(2) سيد قطب. مشاهد القيامة في القرآن. ص10.

كما يصرح "سيد" بأن هدفه كان موجها إلى الجانب الفني الخالص، دون التعرّض للمباحث اللغوية أو الكلامية أو الفقهية أو الموضوعات الإلهية والشريعة [1].

ويوضّح أن كلمة الفنّ لم يكن لها في نفسه إلا مدلول واحد هو "جمال العرض وتنسيق الأداء وبراعة الإخراج" [2]. وأن التعبير القرآني "يجعل الأداء الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية" [3].

لقد كان "سيد" يهتم بالدرجة الأولى بالنص القرآني كنص لغوي أدبي، يرتكز على رؤية معيّنة للعمل الأدبي، والرؤية هذه أفادته في عمله إفادة مزدوجة:

**أولا:** هضم النص القرآني واستبطان ما يحويه من معان ومفاهيم دينية.

**ثانيا:** التعبير عن هذه المعاني وتلك المفاهيم التي انطبعت في داخله تعبيرا جميلا.

إن "سيد قطب" ــ كما يقول أحد الباحثين ــ ((كان يقرأ النص القرآني ويتعامل معه من حيث هو نص، يتمثل معانيه ويستقبل ظلاله، ثم يعود فيعبّر عن هذه المعاني وتلك الظلال في شيء من الإلهام الفني الذي يحقق الصدق والوضوح، ويحتفظ بالقوة والحرارة)) [4].

يمكن القول إن كتاب"**التصوير الفني في القرآن**"، يسجّل اكتشاف سيد لنظرية فريدة تمثّل المنهج الجمالي الفني أصدق تمثيل ــ كما يذهب إلى ذلك أحد الباحثين ــ هي نظرية التصوير الفني في أسلوب القرآن [5].

(1) انظر: سيد قطب. التصوير الفني في القرآن. ص8، 125، 192.

(2) المصدر نفسه. ص204، 205.

(3) المصدر نفسه. ص117.

(4) عبد الباقي محمد حسين. سيد قطب. حياته وأدبه. ص76.

(5) صلاح عبد الفتاح الخالدي. المنهج الحركي في ظلال القرآن. دار الشهاب. الجزائر. بدون تاريخ. ص14.

ويمكن اعتبار هذه النظرية التي بيّن قواعدها وسماتها وآفاقها وموضوعاتها في الكتاب السالف الذكر، المفتاح الجمالي الذي فتح به كنوز القرآن الجمالية المكنونة فيه، واهتدى به إلى القواعد العامة الموحدة للجمال الفني في القرآن.

لقد استهدف "سيد" تحقيق غاية نبيلة بنظريته في التصوير والتي اعتبرها القاعدة المفضّلة في التعبير، وهذه الغاية هي ((أصدق ترجمة للمفهوم الحديث لإعجاز القرآن الفني لأنها تساعد جيلنا الجديد على استرواح الجمال الفني الخالص في كتاب الله، وتمكن الدارسين من استخلاص ذلك بأنفسهم والاستمتاع به بوجدانهم وشعورهم)) [1].

لقد تحدّث "سيد" في كتابه " التصوير" عن سحر القرآن ومنبع هذا السحر، وعرض للمراحل التي مرّ بها المفسرون وعلماء البلاغة في فهمهم للقرآن، ثم تحدث عن التصوير الفني للقرآن الكريم، وعن التخييل الحسّي والتجسيم والتناسق الفني، والقصة في القرآن وأغراضها الفنية والدينية، وخصائصها الفنية [2].

لقد اقتصر هدف "سيد" على الجانب الفني، نظرا لاهتمامه الأدبية والجمالية، وانشغاله بالمباحث النقدية والفنية، ولعلّ أبرز من اعتبر منهج "سيد" ــ ضمن هذا الإطار ــ وفي تفسيره للقرآن الكريم منهجا جماليا، الناقد رجاء النّقاش الذي كتب في مجلة الهلال يقول: " جاء سيد قطب" بثقافته الأدبية الجديدة ــ وهو الناقد والشاعر الحسّاس ــ بما يمكن أن نسمّيه باسم المنهج الجمالي في تفسير القرآن، وهذا المنهج الجمالي يهدف إلى البحث في أسرار "الجمال الفني التعبيري في

(1) عبد القادر تومي. منهج التغيير في فكر سيد قطب. رسالة ماجستير. معهد الفلسفة. جامعة الجزائر. 1997. ص83.

(2) انظر: سيد قطب. التصوير الفني في القرآن. وانظر: أيضا دراسة صلاح عبد الفتاح الخالدي "نظرية التصوير الفني عند سيد قطب" دار الفرقان الطبعة الأولى.1983. وانظر: أيضا سيد. كتب وشخصيات. فصل " الصور والضلال في الفن" ص28 وما بعدها.

القرآن"[1].

ويمكن القول إن "النّقاش" قد اعتمد على كتاب "التصوير الفني في القرآن" في بيان منهج "سيد" الجمالي في التفسير، لذلك نراه ينقل فقرات كاملة من الكتاب المذكور، ليوضّح أصالة ذلك المنهج وتفرّد "سيد" في اكتشافه، ونجاحه في تطبيقه، وبيان خصائصه وآفاقه [2].

هذا المنهج الجمالي يعتبره النقاش " نموذجا لما يمكن أن نسميه باسم "التفسير العصري" الصحيح الناضج للقرآن... ولأجل ذلك كان منهج "سيد قطب" الجمالي في تفسير القرآن منهجا دقيقا حيث استطاع أن يكشف لنا الكثير من أسرار الجمال القرآني الصحيح [3].

(1) مجلة الهلال. السنة الخامسة والسبعين. فبراير 1977. مقال لرجاء النقاش. "ملاحظات ثقافية". ص177.

(2) المرجع نفسه. ص180.

(3) المرجع نفسه، ص181.

# خاتمـــــة

يمكن القول إن كتابات" سيد قطب" الفكرية، ودراساته الإسلامية، ومنهجـــه الحركي، قد استحوذ على أغلب البحوث، واستقطب اهتمام جـــلّ الدارســـين والمفكّرين، وغفلوا عن أدبه ونقده، وما كان يمتاز به من شاعرية وحسّ مرهـــف وقدرة على الإبداع والنقد، و لعلّ الدارس لمختلف كتاباته في مختلـــف منـــاحي الأدب والنقد والفكر والدراسات الإسلامية يدرك مما لا يترك أي مجال للشـــك، إسهاماته الكبيرة في النهضة الأدبية النقدية، والفكرية الإسلامية الحديثة.